(مقدمة)

(فى الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة لغة الظهور والبيان يقال أفصح الرجل اذا أظهر مراده وفصح الاعجمى اذا خلصت لغته من اللكنة قال تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا أى أبين منى قولا * واصطلاحا تكون فى الكلمة والكلام والمتكلم

والبلاغة لغة تنبئ عن الوصول والانتهاء يقال بلغ فلان مراده اذا وصل اليه وبلغ الركب المدينة اذا انتهى اليها * واصطلاحا تكون فى الاخيرين فقط فالفصاحة فى الكلمة خلوصها من الغرابة ومن تنافر الحروف ومن مخالفة القياس وبذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل فالغرابة كون الكلمة وحشية أى ليست ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال بالنظر للعرب كمسرجا فى قول العجاج

أزمان أبدت واضحا مقلجا * أغر براقا وطرفا أدعجا

ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا

فان مسرجا يحتاج الى التخريج على وجه بعيد فانه لايدرى أهو تشبيه بالسيف السريجى «أى المنسوب الى سريج وهو قين أى حداد تنسب اليه السيوف» فى الدقة والاستواء أم بالسراج فى الضياء واللمعان فلفظ مسرجا غير ظاهر الدلالة على ماذكر لان فعّل بالتضعيف انما يدل على مجرد النسبة وهى لاتدل على التشبيه فأخذه منها بعد — أو كون اللفظ محتاجا الى كثرة البحث والتفتيش فى كتب اللغة حتى يعثر على معناه كاطلخم بمعنى اشتد

من قول أبى تمام

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت * (١) عشواء تالية غبسا دهاريسا

وكتكأ كأجعنى اجتمع وافرتقع بمعنى انصرف من قول من اجتمعت عليه الناس حينما وقع عن دابته «مالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة افرنقعوا» - أولم يعثر على معناه فى كتب اللغة أصلا نحو (جَحْنَجَع) بجيم مفتوحة فمهملة ساكنة فلام مفتوحة فنون ساكنة فجيم مفتوحة فعين مهملة من قول أبى الهَمَيْسع

إن تمنعى صوبَكِ صوبَ المدمع * يجرى على الخد (٢) كضئب الثَّعْثَع

* من طَعْمة صَبِرها جحنجع *

قال صاحب القاموس ذكروه ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين وما كنا نكاد نفهم كلامه اهـ

وتنافر الحروف وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها - ويكون فى المفرد متناهيا وخفيفا - فمثاله متناهيا فى الشدة الظَّشّ بالظاء المشالة والشين المعجمة للوضع الخشن والهعخع بالهاء المضمومة فى أوله أو بدل الهاء همهملة اسم نبت - ومثاله خفيفا النقاخ بالنون المضمومة والقاف وفى آخره خاء معجمة للماء العذب الصافى ومستشزرات من قول امرئ القيس

غدائره مستشزرات الى العلا * تضل العقاص فى مثنّى ومرسل

---

(١) العشواء الناقة لا تبصر ليلا والغبس جمع أغبس وهو الذى فى بياضه كدرة والدهاريس جمع دهرس وهى الداهية اهـ منه

(٢) الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ أى كحب اللؤلؤ والطمعة النظرة والصبير السحاب المتراكم اهـ منه

أى ضفائر الشعر ترتفعات الى فوق ولكثرته تثنيه عقصه فيما ثنى وما أرسل منه * ولا نظر لغرب مخارج الحروف وبعدها بل الامر فى ذلك موكول للذوق السليم

ومخالفة القياس كون الكلمة جارية على خلاف القانون الصرفى كالأجلل فى قول الشاعر

الحمد لله العلىّ الاجلل * أنت مليك الناس ربًّا فاقبل

وكموددة فى قول آخر

ان بنىَّ للئام زَهَده * مالىَ فى صدورهم من مودده

وكجمع بوق على بوقات فى قول المتنبى

فان يك بعض الناس سيف الدولة * ففى الناس بُوقات لها وطبول

فان القانون الصرفى الأجل والمودّة بالادغام وجمع بوق على أبواق — وزاد بعضهم أن لا تكون الكلمة ثقيلة على السمع بحيث يمجها ويأنفها نحو الجِرِشّى من قول المتنبى

مبارك الاسم أغرّ اللقب * كريم الجرشى شريف النسب

فان لفظ الجرشى بمعنى النفس ثقيل على السمع — والحق دخول ذلك فى الغرابة والفصاحة فى الكلام أى المركب خلوصه من تنافر الكلمات ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته

فتنافر الكلمات وصف فى المركب يوجب ثقله على اللسان وعسر النطق به وان كان كل جزء منه فصيحا * ويكون شديدا وخفيفا — فالشديد كالمصراع الثانى من قوله

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

ونحو قوله * فى رفع عرش الشرع مثلك يشرع * ـ والخفيف نحو أمدحه أمدحه فى قول أبى تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

فالأول شديد الثقل والثانى خفيفه ـ وانما جاء الثقل فيه من تكرار لفظ أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق كما ذكره الصاحب اسمعيل بن عباد

وضعف التأليف كون المركب جاريا على خلاف القانون النحوى المشهور عند الجمهور كالاضمار قبل الذكر فى نحو قوله

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمّار

وكقول غيره

كسا حلمُه ذا الحلم أثوابَ سؤدد * ورقى نداه ذا الندى فى ذُرَى المجد

اذ الضمير فيهما عائد على متأخر لفظا ومعنى وحكما والقانون النحوى يوجب تقدم المرجع لفظا نحو حفظ محمد درسه أو معنى نحو حفظ درسه محمد اذ الفاعل متقدم معنى على المفعول أو حكما نحو نعم رجلا على قول وربّه رجلا وقل هو الله أحد فهذه المثل وما شاكلها المرجع فيها مذكور قبلها حكما من حيث ان الحكم الاصلى تقدمه وانما خولف فيها لنكت تأتى ان شاء الله تعالى

والتعقيد اما لفظى وهو كون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل فى نفس الكلام بسبب تقديم أو تأخير أو فصل باجنبى بين موصوف وصفة أو بدل ومبدل منه أو مبتدإ وخبر نحو قول الفرزدق يمدح ابراهيم

قال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

وجه الكلام وما مثل الممدوح في الناس حيّ يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه ففصل بين البدل والمبدل منه وبين الموصوف والصفة وبين المبتدا والخبر وقدم المستثنى على المستثنى منه فلم يكد يفهم منه المراد وكقول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الأغر دلائل

ووجه الكلام فيه جفخت أي افتخرت بهم شيم دلائل على الحسب الاغر وهم لا يجفخون بها والفصل بالاجنبي فيه ظاهر — وإما معنوي وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد لحال في انتقال الذهن من المعنى الاصلي الى المعنى المقصود بسبب ايراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى كثرة الوسائط كقولك نشر الملك ألسنته في المدينة تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه وكقول الشاعر

سأطلب بُعْد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الكآبة والحزن وأصاب لكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجبه التلاقي من الفرح والسرور فان الانتقال من جمود العين يكون الى بخلها بالدموع حال ارادة البكاء وهي حالة الحزن كقول الخنساء

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر ندى

لا الى ماقصده من السرور الحاصل بالملاقاة فالذهن لا يلتفت الى ذلك على أنه لم يسمع دعاء أحد لأحد بجمود عينه بمعنى أن يسرّ خاطره — هذا وقد

زاد بعضهم فى اشتراط فصاحة الكلام خلوه من التكرار وتتابع الاضافات ولكن لاداعى لذلك لانه ان أوجب ثقلا فقد احترز عنه بالتنافر والا لم يكن مخلا كما فى التنزيل فى قوله تعالى ونفس وما سواها الآيات وفى قوله ذكر رحمت ربك الآية

وفصاحة المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح فى كل نوع من أنواع المعانى كالمدح والذم والرثاء والتشبيب وغير ذلك فعلم أن المدار على الاقتدار وان لم يوجد التعبير بالفعل وأن من قدر على تأليف كلام فصيح فى نوع واحد من هذه الانواع لم يكن فصيحا

والبلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال أى حال الخطاب مع فصاحته — والحال ويرادفه المقام هو الامر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصية ما وتلك الخصوصية هى مقتضى الحال مثلا كون المخاطب منكر الحكم حال يقتضى التأكيد وذلك التأكيد اعتبار مناسب هو مقتضى الحال — وكذلك المدح حال يدعو لايراد الكلام على صورة الاطناب — وذكاء المخاطب حال يدعو لايراده على صورة الايجاز فكل من المدح والذكاء حال وكل من الاطناب والايجاز مقتضى وايراد الكلام على صورة الاطناب أوالايجاز مطابقة للمقتضى ، ويتفاوت مقتضى الحال بحسب المقامات والاحوال اذ مقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف والاطلاق يباين التقييد والفصل يباين الوصل والايجاز يباين الاطناب والمساواة وكذا مقام خطاب الذكى يباين مقام خطاب الغبى اذ الاول يناسبه الاعتبارات اللطيفة والمعانى الدقيقة بخلاف الثانى ولذا كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت المقتضيات والاعتبارات وبقدر رعاية تلك المناسبات يرتفع قدر

الكلام حسنا وقبولا ولذا كان القرآن الشريف فى أقصى درجات البلاغة لصدوره عمن هو عالم بكميات الاحوال وكيفياتها فاستعمل كلامه تعالى فى كل مقام على جميع مقتضيات الاحوال « تنزيل من حكيم حميد » والبلاغة فى المتكلم ملكة فى النفس يقتدر بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته فى أى معنى قصده فلو لم يكن ذا ملكة لم يكن بليغا كما تقدم نظيره فى الفصاحة فعلم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانها مأخوذة فى تعريف البلاغة وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين الاول الاحتراز عن الخطا فى تأدية المعنى المقصود والثانى تمييز الكلام الفصيح من غيره والاول منهما يعرف بعلم المعانى والثانى بعلم البيان ولما كان علم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية ما تقدم جعل تابعا لهما اذ بهما يعرف التحسين الذاتى وبه يعرف التحسين العرضى اذ هو يكسو الالفاظ من الطلاوة أبهج جلباب ويكسبها رقة يسترق بها حر الالباب على أن فيه من الشواهد ما يعتبر تمرينا لقواعد سابقيه فالمحصر المقصود من علم البلاغة وما يتبعها فى ثلاثة فنون علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع وقد شرعت فى الاول بعون من عليه المعول فقلت

(الفن الاول علم المعانى)

هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال أى المقام وهو الامر الداعى لايراد خصوصية فى الكلام وتلك الخصوصية هى مقتضى الحال كما تقدم مثلا اذا خاطبت منكرا فانكاره حال يقتضى أن تؤكد له الكلام والتأكيد هو مقتضى الحال واذا كان بينك وبين

مخاطبك عهد برجل معين فالعهد حال يقتضى ايراد الرجل معرفا والتعريف هو مقتضى الحال فمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال اشتماله على تلك الخصوصية — والامر الداعى هو مدخول لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولنا فى الذكر لكونه الاصل وفى الحذف للاستغناء عنه مثلا وهكذا

والكلام إما خبر وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته بقطع النظر عن المخبر والخبر ليدخل خبر الله تعالى ورسوله والبديهيات المألوفة والنظريات القطعية كالله قادر — أو هو مالا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو العلم نافع واجتهد محمد وإما انشاء وهو مالا يحتمل الصدق والكذب — أو هو ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو اجتهد ولا تكسل ونعم التلميذ المجتهد محمود

والخبر ان طابق مضمونه الواقع سمى صدقا والا فكذب وذلك لان هناك نسبتين نسبة دل عليها الخبر وفهمت منه وتسمى النسبة الكلامية ونسبة تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى خارجية فمطابقة النسبة الكلامية للخارجية ثبوتا ونفيا كما فى قولك العلم نافع والجهل ليس بنافع صدق وعدم مطابقة الكلامية للخارجية بأن تكون احداهما ثبوتية والاخرى سلبية كقولك الجهل نافع والعلم ليس بنافع كذب — وقيل صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر وان خالف الواقع واستدل قائله بما لا يصلح دليلا له — وأثبت الجاحظ الواسطة بين الصدق والكذب حيث زعم أن صدق الخبر مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه مطابق وكذبه عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق وغير ماذكر وهو المطابقة مع اعتقاد عدمها أو بدون اعتقاد أصلا أو عدم المطابقة مع اعتقادها أو بدون الاعتقاد أصلا ليس بصدق ولا كذب

واستدل بما لايوافق مدعاه والصحيح ماتقدم أولا من تعريف صدق الخبر وكذبه وانحصاره فيهما

(أحوال الاسناد الخبرى)

الاسناد ضم كلمة أوما يجرى مجراها الى أخرى أوما يجرى مجراها على وجه يفيد الحكم باحداهما على الاخرى ثبوتا أونفيا — والاصل فى الكلام الخبرى أن يلقى الى المخاطب لافادة الحكم الذى تضمنته الجملة نحو الاسلام حق لمن لايعلم حقيّة الاسلام ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر — أولافادة كون المتكلم عالما بالحكم نحو قولك لحافظ القرآن أنت حفظت القرآن ويسمى لازم الفائدة

وقد يلقى لأغراض أخر منها تحريك الهمة الى مايلزم تحصيله نحو هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ومنها الاسترحام كقول موسى رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير ومنها التحسر على فوات مأمول كقول أم مريم رب انى وضعتها أنثى ومنها اظهار الضعف كقول زكريا رب انى وهن العظم منى الى غير ذلك

ويجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يشخص حالته ويعطيه ماينا سبها — فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة لازائدا ولاناقصا فان كان المخاطب خالى الذهن لايؤكد له أى لايؤتى له بأداة من أدوات التأكيد كان واللام والقسم ونونى التوكيد والحروف الزائدة والتكرير وقد وغير ذلك لاستغنائه عن ذلك نحو افلح المجتهد ويسمى هذا الضرب ابتدائيا وان كان مترددا فى الحكم طالبا له يؤكد له استحسانا نحو ان الامير منتصر ويسمى هذا الضرب طلبيا وان كان منكرا للحكم الملقى اليه معتقدا

خلافه يؤكد له وجوبا بقدر انكاره قوة وضعفا ويسمى هذا الضرب انكاريا فكلما اشتد انكاره زيد له فى التأكيد قال تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حيث كذبوا فى المرة الاولى انا اليكم مرسلون وفى المرة الثانية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فأكد فى الاولى بان واسمية الجملة وفى الثانية (١) بالقسم وان واللام واسمية الجملة لشدة انكار المخاطبين

وايراد الكلام على هذه الاضرب يسمى مقتضى الظاهر أى مايقتضيه ظاهر حال المخاطب - وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فينزل العالم بالفائدة أولا زمها أو بهما منزلة الجاهل كقولك لتارك الصلاة مع علمه بوجوبها الصلاة واجبة توبيخا له على عدم عمله بمقتضى علمه وينزل الخالى منزلة السائل أى المتردد كقوله تعالى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ويجعل المنكر كغير المنكر كقوله تعالى لمنكر الوحدانية الهكم اله واحد من غير تأكيد لوجود الدلائل الرادعة ويجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الانكار عليه كقوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اذ الغفلة عن الموت تعد من أمارات الانكار وكقول الشاعر

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح

فشقيق لا ينكر رماح بنى عمه ولكن مجيئه واضعا رمحه على عرضه من غير تهيؤ للقتال بمنزلة أن بنى عمه عُزْل لا سلاح لهم فنزل منزلة المنكر فأكد له وخوطب خطاب النفات وفى البيت تهكم واستهزاء بشقيق حيث يرميه الشاعر بالجبن والضعف .

ثم الاسناد مطلقا انشائيا كان أو اخباريا منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلى

---

(١) أى لان ربنا يعلم فى قوة علم الله وشهد الله فهو قسم من هذا الوجه فتنبه اه منه

ـ فالحقيقة العقلية اسناد الفعل أوما فى معناه كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل الى ماهو له عندالمتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله بان لاينصب قرينة دالة على أنه غير ماهوله فى اعتقاده وأقسامها أربعة ـ مايطابق الواقع والاعتقاد معا كقول المؤمن أنبت الله البقل ـ وما يطابق الاعتقادفقط كقول الجاهل أنبت الربيع البقل ـ وما يطابق الواقع دون الاعتقاد كقول المعتزلى لمن لايعرف حاله وهو يخفيها خلق الله الأفعال كلها ـ وما لايطابق شيأ من الواقع والاعتقاد كقولك جاء زيدوأنت تعلم أنه لم يجئ دون المخاطب اذلوعلم المخاطب أيضا لما تعين كونه حقيقة لجواز أن يجعل المتكلم علم السامع بعدم المجىء قرينة على عدم ارادة ظاهره فلايكون اسنادا لما هوله عند المتكلم فى الظاهر

والمجاز العقلى «ويسمى مجازا حكميا ومجازا فى الاثبات واسنادا مجازيا» هو اسناد الفعل أوما فى معناه الى غير ما هو له لملابسة مع قرينة صارفة عن أن يكون الاسناد الى ماهوله وذلك كاسناد الفعل المبنى للفاعل وما فى حكمه كاسم الفاعل الى غير فاعله كالمفعول وغيره مما له ملابسة بالفاعل وكاسناد الفعل المبنى للمجهول وما فى حكمه كاسم المفعول الى غير نائب الفاعل مما له ملابسة بنائب الفاعل كالفاعل وغيره من المصدر والزمان والمكان والسبب فالغرض الاحتراز عن اسناد الفعل المبنى للفاعل للفاعل واسناد الفعل المبنى للمفعول للمفعول اذ كل منهما حقيقة عقلية كما تقدم ـ مثال مابنى للفاعل وأسند الى المفعول به عيشة راضية فقد أسند راضية وهو مبنى للفاعل الى ضمير العيشة وهو مفعول لان العيشة مَرْضية والراضى صاحبها ـ ومثال مابنى للمفعول وأسند للفاعل سيل مفعم بفتح العين لان السيل هوالذى يفعم أى يملأ ـ ومثال اسناد الفعل للمصدر جد جده ـ والضميرى الزمان والمكان

نهاره صائم ونهرجار ـ وللسبب بنى الامير المدينة

وكما يقع المجاز العقلى فى الاسناد يقع أيضا فى النسبة الاضافية بأن يضاف الى ملابس ما هو له كمكر الليل والنهار وجرى الانهار وشقاق بينهما فى الظرفية الزمانية والمكانية وغراب البين للسببية على زعمهم ـ وكذا يكون فى النسبة الايقاعية كقوله تعالى « وأطيعوا أمرى » « ولا تطيعوا أمر المسرفين » وتوّمت الليل وأجريت النهر للظرفية

وكما يكون فى الاثبات يكون أيضا فى النفى نحو فما ربحت تجارتهم وما نام ليلى على معنى خسرت تجارتهم وسهر ليلى قصدا الى اثبات النفى لا نفى الاثبات ـ ويكون أيضا فى الانشاء كما سبقت الاشارة اليه نحو أصلاتك تأمرك ياهامان ابن لى صرحا وليصم نهارك وليجد جدك وليت النهر جار وما أشبه ذلك

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لانهما اما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل ـ أو مجازان لغويان نحو أحيا الارض شباب الزمان اذ المراد باحياء الارض تهييج القوى النامية فيها واحداث نضارتها بأنواع الرياحين والاحياء فى الحقيقة اعطاء الحياة وهى صفة تقتضى الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة ـ أو المسند حقيقة لغوية والمسند اليه مجاز لغوى نحو أنبت البقلَ شبابُ الزمان ـ أو المسند اليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوى نحو أحيا الارض الربيع ۞ ووقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير نحو ماتقدم ونحو واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وينزع عنهما لباسهما

وأخرجت الارض أثقالها فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ولابد له من قرينة صارفة عن ارادة المعنى الأصلى لان الفهم لولا القرينة يتبادر الى الحقيقة ـ والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الامير الجند وهو فى قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند اليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عد ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى اليك لاستحالة قيام المجىء بالمحبة عقلا وكاستحالة ماذكر عادة نحو هزم الامير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالامير وحده عادة وان أمكن عقلا وكأن يصدر من الموحد نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشى

فان صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن اسناد أشاب وأفنى الى كر الغداة ومر العشى مجاز ثم هذا غير داخل فى الاستحالة اذ قد ذهب اليه كثير من المبطلين ـ ولا يجب أن يكون فى المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف اسناده اليه حقيقة كما تقدم وتارة لا نحو قوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

فان اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى وليس لها أى الزيادة فاعل يكون الاسناد اليه معروفا حقيقة ومثله سرتنى رؤيتك وأقدمنى بلدك حق لى عليك فهذه الامثلة ونحوها من المجاز العقلى الذى لا فاعل له يعرف الاسناد اليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر ـ وقيل لابد له من فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ومعرفته إما ظاهرة نحو فما ربحت تجارتهم أى فما ربحوا فى تجارتهم وإما خفية كهذه الامثلة والفاعل الله تعالى هذا وقد أنكر السكاكى المجاز العقلى ذاهبا الى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة فى

سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه ويجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وسيأتى مذهبه ان شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية

(تنبيه)

ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية فى أحوال الاسناد من علم المعانى وبعضهم ذكرهما فى فن البيان عند تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز ولكل وجهة فمن نظر الى أنهما تحصل بهما المطابقة لمقتضى الحال ذكرهما فى علم المعانى ومن نظر الى أنهما من أنواع الدلالة ذكرهما فى علم البيان وقد جرينا على الاول

والخبر اما أن يكون جملة اسمية أوفعلية والجملة الاسمية المحضة أصل وضعها لافادة ثبوت شئ لشئ وقد تفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن كما فى مقام المدح والذم نحو زيد قائم أى ثبت له القيام ولوانقطع بعد ونحو زيد فاضل وعمرو مؤذ أى الفضل والايذاء ثابتان وملازمان لهما ومنه قوله

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا * لكن يمرّ عليها وهو منطلق

أى ان الانطلاق من الصرة ثابت له دائما وهو غاية فى المدح

قال الشيخ عبد القاهر موضوع الاسم على أن يثبت به الشئ للشئ من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيأ فشيأ فلا تعرّض فى قولك زيد منطلق لأكثر من اثبات الانطلاق فعلا (١) كما فى زيد طويل وعمرو قصير اه

(١) أى فان ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع وأما استفادة الدوام فمن الملازمة فى هذين الوصفين وحينئذ فالتمثيل للمنفى تأمل اه منه

ثم الجملة الاسمية التى فيها الخبر جملة فعلية تفيد التجدد لامجرد الثبوت ولا الثبات فلا تفيد الجملة الاسمية الثبوت بأصل وضعها والثبات بالمقام والقرائن الافى حالتين ـ فيما اذا كان خبرها مفردا نحو زيد طويل وهو منطلق المذكور فى البيت ـ وفيما اذا كان خبرها جملة ليس فيها فعل نحو محمد أبوه قائم وعلىّ أبوه مكرم الضيفان

والجملة الفعلية أصل وضعها لافادة التجدد فى زمن مخصوص مع الاختصار نحو قام زيد أى ثبت له القيام فى زمن مضى وذلك أن الفعل يدل بصيغته على أحد الازمنة الثلاثة من غير احتياج لقرينة بخلاف الاسم فانه انما يدل على الزمن بقرينة ذكر الآن أو غدا أو أمس

ولما كان الزمان الذى هو أحد مدلولى الفعل غير قارّ الذات أى لاتجتمع أجزاؤه فى الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الازمنة الثلاثة مفيدا للتجدد أيضا * وقد يفيد الاستمرار التجددى فى المضارع بمعونة القرائن لابحسب الوضع نظير الاستمرار الثبوتى فى الاسمية نحو لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم أى لواستمر على اطاعتكم وقتا فوقتا لحصل لكم عنت ومشقة ونحو قول طريف بن تميم

أو كلما وردتْ عُكَاظَ قبيلةٌ * بعثوا الىّ عريفهم يتوسم

أى يحصل منه تفرّس الوجوه وتأملها شيأ فشيأ

ثم المسند إما مفرد فعلا كان أو اسما نحو اجتهد محمد ومحمود مجتهد وإما جملة وذلك فى ثلاثة مواضع ـ أحدها أن يكون سببيا وهو عبارة عن كون الجملة معلقة على المبتدا بعائد لايكون مسندا اليه فى تلك الجملة نحو زيد أبوه قائم وزيد قام أبوه وزيد أبوه قام ـ ثانيها أن يقصد قصر الحكم على المسند اليه نحو أنا سعيت فى حاجتك أى لاغيرى ـ ثالثها أن

يقصد تقوية الحكم بتكرير الاسناد نحو محمد اجتهد فتكرير الاسناد فيه مرتين ـ واما ظرف وذلك عند ارادة الاختصار نحو زيد عندك أو فى المسجد انتقل ضمير استقر الى الظرف فاستقر فيه وحذف المتعلق وجعل نسيا منسيا لحصل الاختصار

(أحوال المسند اليه)

المسند اليه هو المبتدأ والفاعل ونائبه وأحواله الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير الى غير ذلك

(الذكر) يذكر وجوبا حيث لاقرينة تدل عليه عند حذفه ويترجح الذكر عند وجودها لوجوه ـ منها كونه الاصل ولا صارف عنه نحو هذه الشمس ـ ومنها ضعف التعويل على القرينة فتقل الثقة بها فلا يعتمد عليها لخفائها وضعفها ـ ومنها الاحتياط نحو القرآن شفاء للقلوب حيث لم تقو القرينة التى يعتمد عليها عند الحذف ـ ومنها التعريض بغباوة المخاطب وأنه لايفهم الا بالتصريح كما تقول لسامع القرآن القرآن كلام الله ـ ومنها زيادة الايضاح والتقرير فى ذهن المخاطب نحو أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون بتكرير اسم الاشارة ـ ومنها التبرك نحو نبينا قال كذا ومنها التلذذ حقيقة كذكر المحبوب أو ادعاء كذكر الممدوح ـ ومنها اظهار تعظيمه أو اهانته اذا كان الاسم مما يدل على ذلك نحو أمير المؤمنين حاضر واللص موجود ـ ومنها قصد التعجب فى الحكم الغريب نحو زيد يقاوم الاسد ـ ومنها بسط الكلام لفائدة كما فى مقام الافتخار كأن يقال لك من نبيك فتقول نبينا محمد حبيب الله سيد الانبياء وكما فى مقام التلذذ مثل الحبيب حاضر وكما فى مقام يكون فيه اصغاء السامع مطلوبا لعظمته

وشرفه كقول موسى عليه السلام هى عصاى فى جواب وما تلك بيمينك ياموسى تلذذا بالخطاب مع أنه كان يكفيه أن يقول عصا ولذلك أجمل بعض الخواص فى قوله ولى فيها مآرب أخرى رجاء أن يسئل عن تفصيلها فيتلذذ بالخطاب — ومنها التهويل نحو أمير المؤمنين يأمرك بكذا — ومنها الاشهاد فى قضية كأن يقول الشاهد زيد باع كذا — ومنها التسجيل على السامع أى كتابة الحكم عليه بين يدى الحاكم حتى لايكون له سبيل الى الانكار

(والحذف) وهو خلاف الاصل يكون للاستغناء عن المحذوف بسبب قرينة اذلو ذكر معها لكان كالعبث فى جلى النظر وذلك للاعتماد على انتقال الذهن اليه من أول وهلة — أولتخييل العدول الى أقوى الدليلين العقلى واللفظى فان الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل والعقل أقوى لافتقار اللفظ اليه وانما أتى بلفظ تخييل لان الدال حقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة كقول المستهل الهلال والله — أو لضيق المقام من سآمة وضجر نحو

قال لى كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل

أى أنا عليل والحذف فى البيت يحتمل أيضا تخييل العدول الى أقوى الدليلين — أولانتهاز فرصة كقول الصياد غزال — أولاختبار تنبه السامع عند القرينة ليعلم هل يتنبه بالقرينة أولا — أومقدار تنبهه نحو مسهلة للصفراء أى السقمونيا ونوره مستفاد من نور الشمس أى القمر أولاتباع الاستعمال الوارد على تركه والحذف هنا واجب نحو نعم الرجل زيد على أنه من حذف المبتدا قبل المخصوص بالمدح ونحو رمية من غير رام و * شنشنة أعرفها من أخزم * أى هى رمية وهى شنشنة أوالوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح أوالذم أوالترحم — أولايهام صون المسند اليه عن لسانك تعظيما له

نحو مقرر للشرائع موضح للدلائل تريد المصطفى صلى الله عليه وسلم - أو لايهام صون لسانك عنه نحو فاسدٌ تريد الشيطان - أولتيسر الانكار عند الحاجة نحو فاسق فاجر عند قيام القرينة على أنه زيد مثلا - أولتكثير الفائدة نحو فصبر جميل أى فأمرى صبر جميل (١) أوفصبر جميل أجمل - أولتعينه حقيقة نحو عالم الغيب والشهادة أوادعاء نحو وهّابُ الألوف أى السلطان - أو للمحافظة على سجع نحو من طابت سريرته (٢) حمدت سيرته أو قافية نحو

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وما المال والأهلون الا ودائع * ولا بُدَّ يوما أن ترد الودائع

- أو للعلم به أو الخوف منه أو عليه فى نائب الفاعل

(التعريف) - اعلم أولا أن النكرة والمعرفة ماوضعا الالمعين والا امتنع الفهم وانما الفرق بينهما أن المعرفة تدل على معين من حيث هو معين ففى لفظ المعرفة اشارة الى أن السامع يعرفه لدلالة اللفظ على التعين وأما النكرة فالمفهوم منها ذات المعين فقط اذليس فى لفظها دلالة على ملاحظة التعين - والتعين فى المعرفة إما بنفس اللفظ من غير احتياج الى قرينة خارجية كما فى العَلَم وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما فى الضمائر واما بقرينة اشارة حسية كما فى أسماء الاشارة واما بنسبة معهودة كما فى الاسماء الموصولة فانه لايتم التعين فيها الا بذكر الصلة ذات العائد المفهومة للمتخاطبين خارجا أوذهنا واما بحرف وهو المعرّف بأل أو النداء

---

(١) هذا التقدير الأخير خاص بحذف المسند اه منه

(٢) المحذوف فى هذا وما بعده المسند اليه الحقيقى وهو الفاعل وان كان المسند اليه فى اللفظ وهو نائب الفاعل مذكورا اه منه

أو باضافة معنوية الى واحد مما ذكر

❁ فتعريفه بالعلمية ـ لاحضاره ابتداء فى ذهن السامع باسم يخصه نحو وما محمد الا رسول ـ أو للتبرك نحو الله المنعم الكريم ـ أو للتلذذ نحو قوله

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

أو للتعظيم أو الاهانة حيث أشعر العلم بذلك نحو سعد وسعيد فعلا كذا ونحو صخر وبطة فعلا كذا ـ أو للكناية عنه نحو أبو لهب فعل كذا كناية عن كونه جهنميا فان معناه الاضافى قبل العلمية ملازم اللهب فانتقل منه الى كونه جهنميا فان اللهب فى الحقيقة هو لهب جهنم ـ أو للتفاؤل نحو سرور خادمك ـ أو للتطير نحو حرب فى البلد

وبالضمير ـ لافادة التكلم أو الخطاب أو الغيبة مع الاختصار حيث اقتضى المقام ذلك نحو أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

ونحو قول المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر «أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب» ونحو * أنت الحبيب وكلنا نهواكا * ونحو

* هو الحبيب الذى ترجى شفاعته * ولا بد فى الأخير من تقدم مرجعه

تحقيقا كما فى زيد ضرب أو تقديرا نحو فى داره زيد أو معنى لدلالة اللفظ عليه نحو اعدلوا هو أقرب للتقوى أو لقرينة حال نحو فلهن ثلثا ما ترك أى الميت

والأصل فى الخطاب أن يكون لمعين نحو أنت أكرمتنى وقد يترك هذا الأصل فيخاطب غير المعين ليعم الكلام كل من يتأتى خطابه على سبيل البدل نحو فلان لئيم ان أحسنت اليه أساء اليك وكقول المتنبى

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وعليه قوله تعالى «ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم» أى تناهت حالهم فى الشناعة والظهور لاهل المحشر فلا يختص برؤيتها راء دون آخر

(وبالاشارة) ـ لبيان البعد أو القرب أو التوسط نحو ذلك وهذا وذاك وهذا البيان وان كان مستفادا بالوضع اللغوى لا بالخواص والمزايا التى هى موضوع علم المعانى لكن لما كان البليغ قد يخاطب الغبى فيلزمه بلاغة أن يقتصر معه على افادة أصل المعنى ناسب ذكر هذا فى علم المعانى وذلك حيث تعينت طريقا لاحضاره فى ذهن السامع بان يكون حاضرا محسوسا ولا يعرف المتكلم أو السامع اسمه الخاص ولا معينا آخر ـ أو لكمال التمييز نحو قول الفرزدق

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقىّ النقىّ الطاهر العَلَم

أو للتعريض بغباوة السامع وأنه لا يفهم غير المحسوس نحو

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا ياجرير المجامع

أو للتعظيم بالقرب أو البعد نحو ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ونحو ذلك الكتاب لا ريب فيه ـ أو للتحقير كذلك نحو وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ونحو فذلك الذى يدعُّ اليتيم ـ أو لكمال العناية بتميزه لاختصاصه بحكم بديع نحو

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

أو للتنبيه على أن المشار اليه المعقب باوصاف جدير لاجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الاشارة نحو قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فالمشار اليه بأولئك هم المتقون وقد ذكر عقبه أوصاف هى الايمان بالغيب واقامة الصلاة وما بعدهما ثم أتى بالمسند اليه اسم اشارة وهو أولئك وأولئك تنبيها على أن المشار اليهم أحقاء من أجل تلك الاوصاف المذكورة بالكون على هدى عاجلا والفوز بالفلاح اجلا

(وبالموصولية) ـ لعدم علم المتكلم أو السامع أو كليهما بشئ يخصه سوى الصلة نحو الذى كان معنا بالامس فعل كذا ـ أو لزيادة التقرير نحو وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ولونه فى بيتها ولا يخدع مع تمام قدرتها عليه أدل على نزاهته فيكون لتقرير الغرض المسوق له الكلام الذى هو نزاهته ولم يقل زليخا أو امرأة العزيز لاستهجان التصريح باسمها وقيل الموصول مسوق لتقرير المراودة لان كونه فى بيتها أدل على كثرة الخلطة وزيادة الالفة ـ أو للتنبيه على خطا المخاطب نحو

انَّ الذين ترونهم اخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

أى من تظنون أخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطؤن فى هذا الظن أو خطا غيره نحو

ان التى زعمت فؤادك ملَّها * خلعت هواك كما خلعت هَوًى لها

أو للتفخيم نحو فغشيهم من اليَمِّ ماغشيهم ـ أو لتمكن الخبر فى الذهن اذا كان مضمون الصلة حكما غريبا نحو قول المعرّى

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

أو للاشارة الى نوع الخبر من ثواب أو عقاب أو غيرهما نحو ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلا ونحو ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وذلك انه بسماع الموصول وصلته يفهم ان الخبر الآتى من جنس الثواب أو العقاب اجمالا فاذا تم الكلام كان تفصيلا لما فهم وهذا شبيه بالارصاد فى علم البديع اذ فاتحة الكلام فى كل تدل على خاتمته * وربما جعلت الاشارة الى نوع الخبر وسيلة الى التعريض بتعظيم شأن الخبر أو غيره أو تحقيق الحكم فالاول نحو

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

اذ فيه اشارة الى أن الخبر أمر من جنس الرفعة وفيه تعريض بتعظيم بناء بيته لانه فعل من سمك السماء والثانى نحو الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ففيه الاشارة الى تعظيم شأن شعيب وخسران من كذبه والثالث نحو

ان التى ضربت بيتا مهاجرةً * بكوفة الجند غالت ودها غُولُ

ففى ضربها البيت فى مكان المهاجرة تحقيق للحكم بزوال محبتها ووِدها ويكون بالموصولية أيضا للترغيب نحو الذى حسنت أفعاله وكمل جماله محبوب ـ أوللتنفير نحو الذى شاه خَلْقه وساء خُلُقه مبغض ـ أوللحث على ترك الغلظة نحو الذى لا يرحم صغيرا ولا يوقر كبيرا ممقوت ـ أوالانعام نحو الذى خلص لك وداده ورسخ مع عدوك عناده كذا ومنها غير ذلك

(وبأل) ـ للاشارة الى الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة ـ أولبعض أفرادها نحو وأخاف أن يأكله الذئب ـ أوالى فرد أوأكثر من الحقيقة معهود بين المتخاطبين تقدم ذكره صريحا نحو فيها مصباح المصباح فى زجاجة الخ أوكناية ـ نحو وليس الذكر كالانثى أى الذكر المكنى عنه بما فى قولها انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ـ أو لحضوره بذاته نحو هذا الرجل فعل كذا ونحو اليوم أكملت لكم دينكم فى غير المسند اليه ويسمى عهدا حضوريا ـ أوللاشارة الى فرد فأكثر معهود ذهنا نحو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فى غير المسند اليه أيضا فان الاشارة فيه الى الفرد الحاضر فى علم المتخاطبين ـ ويسمى كل من الخارجى والذهنى تعريف العهد لكونه اشارة الى معهود خارجا أو ذهنا من أفراد مدلول اللفظ لا الى نفس المدلول ولذا يحتاج الى قرينة سبق ذكره أوحضوره خارجا أو ذهنا بخلاف لام الحقيقة المسماة

باللام الجنسية فلا يحتاج معها الى قرينة - أو للاشارة الى جميع الافراد مطلقا لقرينة حالية نحو عالم الغيب والشهادة أى كل غائب وشاهد فى غير المسند اليه أيضا أو مقالية نحو ان الانسان لفى خسر أى كل انسان بدليل الاستثناء ويسمى استغراقا حقيقيا - أو الى جميع الافراد مقيدا نحو الصاغة جمعهم الامير اى صاغة بلده أو مملكته ويسمى استغراقا عرفيا

واستغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع لان المفرد يتناول كل واحد واحد من الافراد وأما المثنى فيتناول كل اثنين اثنين والجمع يتناول كل جماعة جماعة بدليل صحة لا رجال فى الدار اذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف لا رجل فانه لا يصح اذا كان فيها رجل أو رجلان وهذا فى النكرة المنفية مسلم وأما فى المعرف باللام فلا بل الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الافراد نحو الرجال قوامون على النساء

وقد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند اليه بالمسند المعرفة وعكسه حقيقة نحو وهو الغفور الودود وتزودوا فان خير الزاد التقوى او ادعاء للتنبيه على كمال ذلك الجنس فى المسند اليه نحو محمد العالم اى الكامل فى العلم أو كماله فى المسند نحو الكرم التقوى اى لا كرم الاهى

(وبالاضافة الى أحد المعارف المتقدمة) - لانها أخصر طريق الى احضار المسند اليه بوصفه الخاص كقول جعفر بن علبة «بالموحدة بوزن غرفة»

هواى مع الركب اليمانين مصعد ● جنيب وجثمانى بمكة موثق

فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه والاختصار لازم الآن لضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن والحبيب على الرحيل - أو لتعظيم شأن المضاف نحو عبد السلطان جالس أو المضاف اليه نحو عبدى فعل كذا أو للتحقير كذلك نحو ابن الحجام حاضر وضارب زيد غلامُ - أو لتعذر

التفصيل نحو أجمع أهل الحق على كذا - أولتعسره كأجمع أهل القرية - أو لاملاله نحو

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة * وللسبع خير من ثلاث وأكثر

فان تعداد قبائله السبع بأن يقول قبيلة كذا وقبيلة كذا لاتعذر فيه ولا تعسر لكنه يوقع السامع فى ملل وسآمة - أولتضمنها اعتبارا لطيفا مجازيا وتسمى الاضافة لأدنى ملابسة نحو

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة * سهيل أذاعت غزلها فى القرائب

أى ان المرأة الحمقاء لم تتهيأ فى الصيف للشتاء باعداد الغزل حتى اذا طلع الكوكب المذكور فى ابتداء الشتاء فرقت غزلها على القرائب لتغزلنه - أو للاستهزاء نحو قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون

(والتنكير) - يكون لقصد فرد غير معين نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى - أو نوع نحو وعلى أبصارهم غشاوة أى نوع من أنواع الاغشية عظيم وهو غطاء التعامى عن آيات الله - وللتعظيم نحو فيه هدى للمتقين - وللتحقير نحو ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك - وللتقليل نحو ورضوان من الله أكبر - وللتكثير نحو وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أى ذوو عدد كثير وآيات عظام ويحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير قوله

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

أى له مانع عظيم أو كثير وليس له مانع قليل أو حقير ومنه قوله

ولله عندى جانب لاأضيعه * وللهو عندى والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن * والفرق بين التعظيم والتكثير أن الاول بحسب رفعة الشأن

وعلو الطبقة والثانى باعتبار الكميات والمقادير تحقيقا كما فى قولك ان له لابلا وان له لغنما أو تقديرا نحو ورضوان من الله أكبر ويلاحظ ذلك فى التحقير والتقليل أيضا

وينكر أيضا - لعدم علم السامع بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاء نحو جاءنى رجل - أو لوجود مانع يمنع من التعريف نحو

اذا سئمت مهنده يمين * لطول العهد بذله شمالا

لم يقل يمينه تحاشيا من نسبة السآمة ليمين الممدوح - وربما نكر غير المسند اليه للافراد أو النوعية نحو والله خلق كل دابة من ماء أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة اذ كل نوع من أنواعها من نوع من أنواع المياه المختصة بتلك الدابة - أو للتعظيم نحو فأذنوا بحرب من الله ورسوله أى حرب عظيمة - أو للتحقير نحو ان نظن الا ظنا أى ظنا حقيرا لأن الظن مما يقبل الشدة والضعف فالمفعول المطلق هنا للنوعية لا للتأكيد

(والتقديم) - لكونه الاصل ولا صارف عنه - أو للاهتمام من المتكلم أو السامع ولو ادعاء - أو لتعجيل المسرة تفاؤلا نحو سرور فى دارك وسعد فى البلد أو المساءة تطيرا نحو السفاح فى دار صديقك - أو للتشويق الى الخبر حيث اشتمل المسند اليه على ما يشوق لسماعه ليتمكن فى ذهن السامع نحو قول أبى العلاء

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

قيل الحيوان هو الانسان والجماد الذى خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف فى اعادته للحشر وقيل غير ذلك

أو لايهام أنه أى المسند اليه لايزول عن الخاطر نحو رحمة الله ترجى - أو للتبرك نحو اسم الله اهتديت به - أو للتلذذ نحو ليلى وصلت وسلمى هجرت - أو لبيان أن الخبر صار سمة وعلامة للمسند اليه المقدم حتى كأنه وصف لايفارقه نحو الخطيب يشرب ويطرب فى جواب كيف الخطيب بخلاف مالوقيل يشرب الخطيب فانه لايفيد اتصافه بالشرب دائما - أو لافادة التعميم نحو كل اذا كان بعده نفى غير عامل فيه نحو كل رجل لم يقصر أى انهم اجتهدوا جميعا - ويقال له عموم السلب وشمول النفى بخلاف ما اذا كانت أداة العموم معمولة للنفى قدمت لفظا أو أخرت نحو لم يقصر كل رجل وكل ذنب لم أصنع فانه يفهم غالبا أن بعضهم قصر وأنه عمل بعض الذنوب - ويقال له سلب العموم ونفى الشمول وجاء لعموم النفى قليلا نحو والله لايحب كل مختال فخور - أو لتقوية الاسناد اذا كان الخبر فعلا نحو زيد قام فان فيه الاسناد مرتين اسناد الفعل الى ضمير زيد واسناد الجملة الى زيد ويقرب من نحو زيد قام زيد قائم لانه لاشتماله على ضمير لايتغير تكلما وخطابا وغيبة كأنه لاضمير فيه فأشبه الجوامد

والحكمة فى عدم تغير ضمير الصفات أن المعنى على تقدير الموصوف فنحو أنا قائم على تقدير أنا رجل قائم وأنت قائم على تقدير أنت رجل قائم وهو قائم كذلك * والحاصل أنه لاشتماله على الضمير كان كالفعل فى افادة التقوية ولكون ضميره لايتغير كانت تقويته قريبة من الاولى لامثلها

- أو لافادة التخصيص بحسب المقام نحو رجل جاء أى لا امرأة أولا رجلان ردا لمن تردد فى أن الجائى رجل أو امرأة أو زعم أنه امرأة لارجل أو لمن تردد فى انه واحد أو أكثر أو زعم أنه أكثر من واحد * ونحو أنا ما قلت بتأخير النفى لقصد تخصيصه بالخبر الفعلى ردا على من زعم انفراد

غيرك بعدم القول أو زعم مشاركته لك فى عدم القول فهو قصر قلب أو قصر افراد ونحو ماأنا قلت بتقديم النفى ردا على من زعم انفرادك بالقول أو مشاركتك لغيرك فيه فهو قصر قلب أو افراد ايضا ويجوز كونه للتعيين ردا للمتردد

ومما تقدم تعلم أنه لايصح ماأناقلت هذاولا غيرى لان مفهوم ماأناقلت كونه مقولا للغير ومنطوق ولا غيرى كونه غير مقول للغير فيحصل التناقض ولا يصح ماأنا ضربت الا زيدا لاقتضاء أن يكون غيرك ضرب كل أحد الا زيدا وهو غير ممكن هذا وقد يقصد من التقديم مطلقا التعجب والاستبعاد كقولك أتنخدع بالزبيب بعد المشيب مع قولك أبالزبيب تنخدع بعد المشيب وقولك أبعد المشيب تنخدع بالزبيب فالاول فى مقام التعجب من الانخداع والثانى فى مقام التعجب من المخدوع به والثالث فى مقام التعجب من المخدوع فيه ومنه قوله

أبعد المشيب المنقضى فى الذوائب * تحاول وصل الغانيات الكواعب

ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ مثل وغير اذا استعملا على سبيل الكناية فى نحو مثلك لايبخل وغيرك لايجود بمعنى أنت لاتبخل وأنت تجود من غير ارادة تعريض بغير المخاطب

وانما كان التقديم كاللازم لكونه أعون على المراد بهذين التركيبين لان الغرض منهما اثبات الحكم بطريق الكناية التى هى أبلغ والتقديم لكونه يفيد التقوى أعون على ذلك وليس معنى كاللازم أنه قد يقدم وقد لايقدم بل المراد أنه كان مقتضى القياس جواز التأخير ولكن الاستعمال لم يرد الا بالتقديم

فصل